فوقفت واعتبرت وترحّمت . ثم خرجت من تلك المنـازل مودّعاً الراقدين فيها متسائلاً : هل تطول غيبتي عنهم ، ام تكون عودتي اليهم قريبة لأودع حبيباً او نسيباً او لأرقد بينهم رقادي الاخير . . ؟

الشعر

قبل ان نعطي الـكلام قياده ، ونلقي على كاهل القلم زمامه ، لا نرى بدّاً من ان نعرّف ما هو المفهوم بالشعر عنـد أربابه وبماذا يختلف عن كل قول ليس بشعري

يطلقون لفظ الشعر اجمالاً على كل صناعة تقوم باظهار « الحسن البالغ » (Le Beau Idéal) ومن ثمَّ فقد يكون لحذّاق المصوّرين والموسيقيين وغيرهم نصيب في ذلك كما لصانع الشعر بالقول

أما على سبيل التخصيص ، فالشعر حقيقةً هو القول الذي يُظهر « الحسن البالغ » بالاقاويل الشعرية وهي الاقاويل المخيّلة فقط — اعني الغير موزونة — فالوزن واللحن

والمراد بالوزن العروض ، وهو رصف اللفظ وسبكه في قالب القريض . ويراد باللحن الانغام التي تحدث من الوزن عند نظم الكلام وسبكه في مهيع التفاعيل ، فاللحن اذن داخل تحت حكم القول الموزون . انما في بعض الاشعار يتولّد اللحن بنوع خصوصي بواسطة تطابق ألفاظ وتجانس حركات ، فتنبعث نغمات اكثر مما في سواها مثلما في نوع

الموشحات التي استنبطهـا أهل الاندلس وفي الازجال (راجع تلخيص كتاب أرسطاطاليس في الشعر تأليف ابي الوليد بن رشد)

وقد ينفرد على حدة كل من الاقاويل المخيلة والوزن واللحن فنرى المحاكاة المخيّلـة في الاوصاف ونرى الوزن في الرقص واللحن في الزّمر وآلات الطرب كافة

والمفهوم عند الفريق العظيم من بني نحلتي إلَّم أقل السواد الأعظم ، ان الشعر هو كل قول منظوم ومقفّى بدون اعتبـار المعنى الشعري ركناً ضرورياً له . على ان في هذا الاعتقاد شططاً فاحشاً ، ومن ذهب هذا المذهب قل عنهُ ولا حرج بانهُ لا يفقه معنى الشعر ولو كان من الذين امتطوا متنه وتقلدوا أعنّته . فقد يدعى شعراً — وهو ليس منهُ — بعض أقاويل منظومة اذ انها لا تتضمن الا الوزن فقط وقد قيـل : الشعر ما اشتمل على المثل السائر والاستعارة الرائعة والتشبيه الواقع وما سوى ذلك فان لقائله فضل الوزن

ومثيل ذلك كثير في كل اللغـات كاقوال سقراط وانبادقليس في الطبيعيات وكل من استخدم الشعر في الرياضيات وعلم الهيئة والآداب

ولا مشاحة في ان الأقاويل المخيلة فقط كالأوصاف وغيرها أقرب الى حقيقـة الشعر وأحق بان تدعى شعرية من منظومات هؤلاء الذين نظروا بها الآداب او قواعد الاعراب ودوّنوا فوائد علمية او فلسفية لان كل هذا خارج عن حدّ « الحسن البالغ » ألَّلهمَّ الا اذا التجئ الى صورة الشعر الحقيقية وطلاوة طرازه فلم يفتهم ضرب التخييل ولا روح الشعر

كما فعل هوراس الروماني في الصناعة الشعرية وحذا حذوه بوالو الفرنساوي فانه والحق يقال تلطف في تأدية القواعد واودعها قالب القريض بصورة بديعة النزعة حتى جاء نظمه من باب الشعر

الشعر اذن وُضع ليمثل كل حسن سيان أدبي او مادي ، وكان من شأنه ان ينفذ الى النفس فيحرك أوتارها مثل ذلك في وصف الخيال والجمال والصفاء والسناء والمكرمات وكل شيء تنبسط له النفس وتجدّ اليه كما في وصف مشاهد الكون الجميلة من رياض باسمة وبدور ساطعة وبقاع شاسعة وبحار واسعة

وليس من خواص الشعر ولا من مواده سنّ الشرائع ونشر الحقائق وتدوين الوقائع والحوادث التاريخية

ولربما التجيء في الشعر الى استعارة ما لا يدخل في صناعتهِ متى كان ذلك على سبيل التشبيه على شريطة ان يكون التشبيه واقعاً ومألوفاً كقول الطغرائي في لاميته :

لو ان في شرف المأوى بلوغ مُنًى لم تبرح الشمس يوماً دارة الحملِ

فهذا القول وان كان من قضايا علم الهيئة الا ان فيه تشبيهاً يقرّب المعنى ويكسبه طلاوة

وبعد ما تقدم يمكننا النظر في الشعر من الوجهة المعنوية والوجهة اللفظية وهذا ما نراه في مقال آت

ملحمي المصري